ثم دخلت سنة اثنتين وستين وثلثمائة

ذكر انهزام الروم وأسر الدمستق

في هذه السنة، كانت وقعة بين هبة الله بن ناصر الدولة بن حمدان، وبين الدمستق بناحية ميافارقين، وكان سببها ما ذكرناه من غزو الدمستق بلاد الإسلام، ونهبه ديار ربيعة وديار بكر، فلما رأى الدمستق أنه لا مانع له عن مراده، قوي طمعه على أخذ آمد، فسار إليها وبها هزارمرد، غلام أبي الهيجاء بن حمدان، فكتب إلى أبي تغلب يستصرخه ويستنجده، ويعلمه الحال، فسيَّر إليه أخاه أبا القاسم هبة الله بن ناصر الدولة، واجتمعا على حرب الدمستق، وسارا إليه، فلقياه سلخ رمضان، وكان الدمستق في كثرة، لكنه لقياه في مضيق لا تجول فيه الخيل ـ والروم على غير أهبة ـ فانهزموا وأخذ المسلمون الدمستق أسيراً، ولم يزل محبوساً إلى أن مرض سنة ثلاث وستين وثلثمائة، فبالغ أبو تغلب في علاجه، وجمع الأطباء له، فلم ينفعه ذلك ومات[1].

ذكر حريق الكرخ

في هذه السنة، في شعبان، احترق الكرخ حريقاً عظيماً، وسبب ذلك: أن صاحب المعونة قتل عامياً، فثار به العامة والأتراك، فهرب ودخل دار بعض الأتراك، فأخرج منها مسحوباً، وقتل، وأحرق، وفتحت السجون، فأخرج من فيها، فركب الوزير أبو الفضل لأخذ الجناة، وأرسل حاجباً له ـ يسمى: صافياً ـ في جمع لقتال العامة بالكرخ، وكان شديد العصبية للسنية، فألقى النار في عدة أماكن من الكرخ، فاحترق حريقاً عظيماً، وكان

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٢٨)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٨)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤٧ـ٢٤٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢١٤)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٣)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٨)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٣١٢، ٣١٣).

عدة من احترق فيه: سبعة عشر ألف إنسان، وثلثمائة دكان، وكثير من الدور، وثلاثة وثلاثين مسجداً، ومن الأموال ما لا يحصى[١].

ذكر عزل أبي الفضل من وزارة عز الدولة ووزارة ابن بقية

وفيها أيضاً، عزل الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين من وزارة عز الدولة بختيار، في ذي الحجة/ واستوزر محمد بن بقية، فعجب الناس لذلك؛ لأنه كان وضيعاً في نفسه من أهل أوانا، وكان أبوه أحد الزراعين، لكنه كان قريباً من بختيار، وكان يتولى له المطبخ، ويقدم إليه الطعام، ومنديل الخوان على كتفه، إلى أن استوزر، وحبس الوزير أبو الفضل، فمات عن قريب، فقيل: إنه مات مسموماً. ج٧/٤٩/ط

وكان في ولايته مضيّعاً لجانب الله، فمن ذلك أنه أحرق الكرخ ببغداد، فهلك فيه من الناس والأموال ما لا يحصى، ومن ذلك أنه ظلم الرعية، وأخذ الأموال ليفرّقها على الجند ليسلم، فما سلّمه الله تعالى ولا نفعه ذلك، وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «**من أرضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس**»[٢]. وكان ما فعله من ذلك أبلغ الطرق التي سلكها أعداؤه من الوقيعة فيه، والسعي به وتمشى لهم ما أرادوا، لما كان عليه من تفريطه في أمر دينه وظلم رعيته، وعقب ذلك أن زوجته ماتت ـ وهو محبوس ـ وحاجبه وكاتبه، فخربت داره وعفا أثرها، نعوذ بالله من سوء الأقدار، ونسأله أن يختم بخير أعمالنا، فإن الدنيا إلى زوال ما هي.

وأما ابن بقية، فإنه استقامت أموره، ومشت الأحوال بين يديه، بما أخذه من أموال أبي الفضل وأموال أصحابه، فلما فني ذلك، عاد إلى ظلم الرعية، فانتشرت الأمور على يده، وخربت النواحي، وظهر العيارون، وعملوا ما أرادوا، وزاد الاختلاف بين الأتراك وبين بختيار، فشرع ابن بقية في إصلاح الحال مع بختيار وسبكتكين، فاصطلحوا وكانت هدنة على دخن، وركب سبكتكين إلى بختيار ومعه الأتراك، فاجتمع به، ثم عاد الحال إلى ما كان عليه من الفساد، وسبب ذلك: أن ديلمياً اجتاز بدار سبكتكين ـ وهو سكران ـ

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٢٩)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٨)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢١٥)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤٨).

(٢) ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٦/ ١٣٩) و (٨/ ٢٩١)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: ٤٣٧٠٥).

فرمي الروشن بزوبين في يده، فأثبته فيه، وأحسن به سبكتكين، فصاح بغلمانه فأخذوه، وظن سبكتكين أنه قد وضع على قتله، فقرره فلم يعترف، وأنفذه إلى بختيار وعرّفه الحال، فأمر به فقتل، فقوي ظن سبكتكين أنه كان وضعه عليه، وإنما قتله لئلا يفشي ذلك، وتحرك الديلم لقتله، وحملوا السلاح، ثم أرضاهم بختيار فرجعوا[١].

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة، في ذي الحجة، أرسل عز الدولة بختيار الشريف أبا أحمد الموسوي، والد الرضي والمرتضى، في رسالة إلى أبي تغلب بن حمدان بالموصل، فمضى إليه، وعاد في المحرم سنة ثلاث وستين وثلثمائة.

الوفيات

وفيها توفي أبو العباس محمد بن الحسن بن سعيد المخرمي الصوفي، صاحب الشبلي بمكة[٢]/ . ج٧/٥٠/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١١/ ٤٢٩، ٤٣٠)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١١/ ٣٢٨، ٣٢٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢١٥، ٢١٦)، وذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٣/ ٥٢٠)، وذكره ابن مسكويه في «تجارب الأمم» (٢/ ٣١٠)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤٩، ٢٥٠)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ١٩٧)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٨٨)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١١٣).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (٢٨٤)، «تاريخ بغداد» (٢/ ١٩٠)، (٢/ ٢٠٩)، «المنتظم» (١٤/ ٢١٢، ٢١٣).

obeikandl.com